العرب
الثلاثاء 2020/02/25
السنة 42 العدد 11628

ما الذي يجمع الإخوان وكتائب حزب الله في العراق

حماية المصالح المشتركة

عبدالجليل معالي
كاتب وصحافي تونسي

استقبل الأمين العام للحزب الإسلامي العراقي، رشيد العزاوي، الأحد، وفدا من المكتب السياسي لكتائب حزب الله في العراق. وبحث الجانبان العلاقات الثنائية، وتطورات الوضع السياسي على الساحة العراقية، وملف تشكيل الحكومة المؤقتة، والاستجابة المطلوبة لمطالب المتظاهرين، والتعاون من أجل عودة المهجرين إلى المناطق المحررة. وأكد الطرفان على ضرورة تحديد موعد للانتخابات المبكرة، وأهمية تحشيد كافة الجهود لتوفير الظروف المناسبة لإنجاحها.

اللقاء الذي جمع الحزب الإسلامي العراقي، مع وفد من كتائب حزب الله العراقي، والذي أُعلنَ أنه خصص لبحث تطورات الوضع السياسي على الساحة العراقية وملف تشكيل الحكومة، عبّر عن وحدة قوى الإسلام السياسي في العراق في مواجهة مطالب التغيير بكل ما يكتنفها من شعارات مركزية، وأبرز بحث الطرفين عن المنافع المشتركة رغم ما يفرقهما من خلافات طائفية. التقى التطرفان، السني والشيعي، في العراق، وتجاوزا خلافاتهما الأيديولوجية الظاهرة، وعبر الحزب الإسلامي عن انسجامه مع المكون الشيعي باحثا عن حصة في التشكيلة الحكومية الجديدة بعيدا عن باقي مكونات التيار السني.

يذكرُ أن رشيد العزاوي هو صديق مقرب للإيرانيين وعاش في إيران جزءا كبيرا من حياته. قدمت له كتائب حزب الله تهنئة متأخرة على تسلمه مسؤولية قيادة الحزب الذي سبق له أن توفي سياسيا. وقد يبدو لقاء الحزبين، متصلا في الظاهر ببحث صعوبات ومعوقات تشكيل حكومة محمد توفيق علاوي، (وهذا أمر موجود في اللقاء) إلا أنه في العمق يخفي إشارات سياسية وأيديولوجية أكثر خطورة من معلن الاجتماع.

اجتماع قيادات الحزب الإسلامي السني، سليل الإخوان المسلمين، مع وفد من كتائب حزب الله، أحد أكبر الفصائل الشيعية المسلحة في العراق والذي يتبع أيديولوجيا نظام ولاية الفقيه في إيران، يمكن أن يقرأ بوصفه حالة "تجاوز" للطائفية السياسية في العراق، وهي مظهر سياسي استثنى منذ مفصل أبريل 2003، إلا أن ربط اللقاء بالتوقيت السياسي الذي جرى فيه، يسمح باستخراج جملة مضامين سياسية وأيديولوجية لا تمتّ بصلة لما يمكن أن يُعدّ تجاوزا للطائفية.

وقد وصفت مصادر سياسية عراقية اللقاء بأنه استعراضي ولا أهمية له. فلا الحزب الإسلامي ولا الكتائب قوة سياسية مؤثرة في تشكيل الحكومة، والطرفان لا أهمية سياسية لهما. لكن ذلك لا يحول دون القول إن الأحزاب الإسلامية، الشيعية والسنية، في العراق استشعرت خطرا مدنيا قادما يمكن أن يهدد مصالحها وهيمنتها على السلطة، ويمكن أن يهدد تبعا لذلك إيران. على ذلك سارعت هذه القوى إلى إعلان وحدتها في وجه التعبيرات المدنية التي تعالت أصواتها في ساحات الاحتجاج.

ففي مواجهة الخطاب المدني، تلجأ الأحزاب الدينية إلى الاتحاد، ولا ترى ضيرا في تجاوز اختلافاتها المذهبية والأيديولوجية، والهدف المشترك هو تأبيد البقاء في السلطة ومنع النقيض السياسي من فرض مقولاته السياسية.

دأبت أحزاب الإسلام السياسي، في أكثر من قطر عربي إسلامي، وخاصة في العراق على تجاوز ما يفرقها فكريا ومذهبيا، من أجل التصدي لـ"خطر مشترك"، والخطر الماثل اليوم كامن في إصرار الاحتجاجات ومرابطتها على شعاراتها المدنية، الرافضة لحكم الأحزاب الدينية، والمعبرة عن وكالة سياسية لإيران، وهنا بالتحديد كان توجس الأحزاب الدينية مزدوجا، إذ قرأت الاحتجاجات على أنها تهديد مزدوج على بقائها في السلطة بما تعنيه من منافع سياسية ومادية، وأيضا على ارتباطها بإيران التي تمثل القاعدة السياسية والأيديولوجية لوجودها السياسي.

وفي لقاء الحزب الإسلامي مع كتائب حزب الله، بعد آخر متصل بالراهن العراقي، وله أيضا دلالات تضفي على الاجتماع المزيد من الأهمية. إذ لا يمكن إغفال ما صدر إعلاميا عن اللقاء من كونه بحث "تطورات الوضع السياسي على الساحة العراقية وملف تشكيل الحكومة المؤقتة"، ولو أنه ادعى "الاستجابة المطلوبة لمطالب المتظاهرين" و"التعاون من أجل عودة المهجرين إلى المناطق المحررة" والمحور الأخير يرادُ له أن يشير إلى أنه من بنات أفكار الحزب الإسلامي الذي يزعمُ الذود عن مطالب المكون السني، والذي كان في صدارة المتضررين من الحملة على تنظيم داعش الإرهابي وما صاحبها من تنكيل بالعرب السنة في العراق.

وفي التاريخ العراقي القريب صفحات كثيرة دالة على "براغماتية" الحزب الإسلامي، الذي كان من أول الأحزاب العراقية التي رحبت بالاحتلال الأميركي وشارك في العملية السياسية المترتبة عن ما بعد مفصل أبريل 2003، حيث تم اختيار محسن عبدالحميد، الأمين العام للحزب وقتذاك، عضوا لمجلس الحكم العراقي الذي أسسه بول بريمر، ثم تقلد منصب رئيس المجلس ابتداء من شهر مارس 2004.

ففي حاضر الحزب الإسلامي وماضيه ما يعبر عن ذلك النزوع نحو إدارة الظهر للانتماء الوطني، والاستعاضة عنه بالانتصار للانتماء المذهبي والديني، سواء كان انتماء لجماعة الإخوان المسلمين أو الانتماء لمنظومة الإسلام السياسي بشكل عام. وهذا ما يبرر التقاءه مع كتائب حزب الله، وهو تجمع يضم كتائب لواء أبي الفضل العباس وكتائب كربلاء وكتائب السجاد وكتائب زيد بن علي، أعلنت توحدها تحت اسم "حزب الله العراقي" في العام 2006.

على أن الالتقاء التكتيكي الذي حصل الأحد، حول مفردات سياسية راهنة عنوانها الأساسي أزمة الحكومة، لا يخفي التقاء أيديولويجا عنوانه الأبرز المزيد من تكريس مقولات "الإسلام هو الحل" والإيغال في الذهاب بالعراق نحو الدولة الدينية أو على الأقل تجنب كل تهديد لهذا الملمح الديني الذي تبتغيه هذه الأحزاب الإسلامية للعراق.

الحزب الإسلامي شريك في المشروع السياسي للاحتلال الإيراني للعراق

أثار اللقاء الذي جمع الحزب الإسلامي العراقي الأحد، مع قيادات من كتائب حزب الله العراقي، تفاعلات كثيرة في الأوساط السياسية والإعلامية العراقية، باعتبار أنه يمثل عينة على انتهازية الأحزاب الدينية وانتصارها للمصالح الحزبية مقابل إدارة ظهرها للمتطلبات الوطنية في العراق.

وفي هذا السياق لم يستغرب الصحافي مصطفى كامل الموقف الذي اتخذه الحزب الإسلامي العراقي في اللقاء مع أخطر الميليشيات الإرهابية الإيرانية في العراق.

وقال كامل، الذي يرأس تحرير صحيفة وجهات نظر الإلكترونية، في تصريح لـ"العرب" إن "الحزب الإسلامي شريك في المشروع السياسي للاحتلال الأميركي الإيراني المشترك، وأعني به ما يسمى العملية السياسية، باعتباره ممثلا عن شريحة السنة العرب في العراق".

واتهم كامل قيادات في الحزب الإسلامي بالإسهام في نهب ثروات العراق، عبر عمليات فساد كبيرة، وخاصة من خلال تولي تلك القيادات مسؤوليات في السلطات المحلية في بعض المحافظات العراقية، وتحديدا في الأنبار وديالى وصلاح الدين ونينوى.

ومن خلال ترؤسه لاثنتين من دورات مجلس النواب ولعدد من لجانه وهيئاته فقد كان الحزب شريكا في سن عدد من القوانين المثيرة للجدل والمنافية لحقوق الإنسان، وأبرزها قوانين الاجتثاث والإقصاء التي طالت عشرات الآلاف من العراقيين. وشهدت السنوات الأخيرة تناميا في الاتصالات بين قيادات في هذا الحزب والنظام الإيراني، وتحديدا عبر مؤسساته الاستخبارية، خصوصا أن الأمين العام السابق إياد السامرائي تربطه علاقات عميقة مع إيران.

مصطفى كامل

السنوات الأخيرة شهدت تنامي الاتصالات بين الحزب الإسلامي ونظام إيران ومؤسساته الاستخبارية

وسبق لرشيد العزاوي أن تولى مسؤولية التنسيق بين الحزب والجهات الإيرانية، وكان ضابط ارتباط الحزب مع الحرس الثوري الإيراني، الذي عمل في صفوفه منذ ثمانينات القرن الماضي، وهو الأمر الذي دفع به إلى الموقع الأول في الحزب، وكان أول قرارات العزاوي، بعد تسلمه مسؤولية أمانة الحزب، الانخراط في تحالف الفتح، الذي يضم الميليشيات الإيرانية برئاسة زعيم ميليشيا بدر هادي العامري.

واختتم كامل تصريحه بالقول "لأنه جزء أساسي من مشروع الاحتلال في العراق، مشروع الفساد والطائفية، فإن لقاء قيادة الحزب الإسلامي مع ميليشيات حزب الله والتنسيق معها حول حصته في التشكيلة الوزارية المقبلة أمر طبيعي يتسق تماما مع دوره الذي مارسه طيلة عقود".

ما بقي من عواصف السبعينات الفكرية

عمر علي البدوي
صحافي سعودي

عاشت المنطقة العربية والدول المركزية فيها، نتائج وتبعات العام 1979 السياسية والفكرية، وهي تبعات لم يكن ينقصها الدم والتطرف والتخلف الذي قاسته المنطقة لعقود، كانت خلاله مرحلة السبعينات بكل أحداثها المفصلية والتاريخية هي الممول الفكري لمنعرجاتها الدقيقة والحرجة.

اتقدت العواصف أول الأمر بصعود الرمزية السياسية الشيعية إلى سدة حكم الواجهة الشرقية من مياه الخليج العربي، بالتزامن مع انفعال المكون الإسلامي السني في بلدان شرق الخليج العربي، الذي تبلور في حالته الطفيلية بمصر، يوم كانت منارة التأثير العربي الأبرز، ثم انزلقت حالة التطرف الفكري إلى حواضنه المحلية في كل من دول الخليج وشمال أفريقيا.

ووجد طوفان التطرف والإسلام الحركي والراديكالية الدينية، في حالة الانغلاق السياسي وانسداد الأفق وعجز الحكومات عن تلبية الحاجات المعيشية والاجتماعية، بيئة مواتية ومناسبة لتبنّي مفرداته المتطرفة ومفاهيمه شديدة الانغلاق.

التحمت عواصف التشدد الفكري مع واقع متعطش لمخرج من انغلاقه واندحار مبررات التقدم لديه، بعد أن بارت سلع وبضائع الكيانات القومية والوطنية والاستقلالية، وقد استنزفتها هياكل حكم سلطوي ارتهن لحاجات المتنفذين فيه، وتجاوز قيمه المؤسسة وشعاراته العريضة.

اتخذت المملكة العربية السعودية من العام 1979 محددا تاريخيا لنقض هيكل هذه التبعات التي جثمت لعقود على صدر السعوديين، وأعاقت حركة المجتمع الطبيعية والعفوية نحو واجبات التنمية، وحقه الشرعي في مواكبة الزمن وموافاة حداثته ومعاصرتها.

ما أحدثته خيارات السعودية الجديدة في بنية التشدد الديني والتطرف الفكري كبير، لاسيما عبر تفكيك ارتباطه المزمن مع الواقع الاجتماعي، واستهداف جذوره الضاربة في أعماق الذهنية الجماعية التي ترسبت فيها مدخرات التشدد القابل للانفعال مع كل صدمة، واندلعت مواجهات حاسمة في جبهات اجتماعية وفكرية ودينية كانت مؤجلة أو مهملة في خانة الخوف والتردد وخشية ردة الفعل.

تلعب السعودية دورا مهما ومركزيا في بناء مستقبل المنطقة على الصعيد الفكري، عبر تفتيت بنى التشدد في الوعي العام العربي والإسلامي، وتحمل مسؤولية قيادة المنطقة إلى مرافئ مستقبل أقل تورطا في مناخات التطرف، وموانئ الوصول الآمن من حرائق التشدد وميليشياته التي نهبت أعمار أجيال المنطقة وحرمتها حقها في التقدم والحداثة والنمو.

لقد قضت المدارس الحركية وقتا طويلا وهي تنفث أطروحاتها في بنية المجتمع العربي بكل أريحية وانفراد، وكانت المخاطر غير منظورة بالنسبة للفاعلين في الوسط الاجتماعي والثقافي، فيما كان الوعي العام يعادُ تصميمه على أساس الهوس الذي ينمو في صدور الحركيين ويتّقد في أذهانهم.

كما أن النفس الإقصائي الذي لازمهم زمن السطوة، مكنهم من إلغاء كل الأطروحات المنافسة وتجريف المجتمع من قدرته على استيعاب التنوع والسلاسة في التعاطي مع ثراء الأفكار والاتجاهات، الأمر الذي أفقده النضج وأكسبه توترا تلقائيا تجاه الأفكار الجديدة والمس بوعيه الجمعي.

إن مجتمعاً مؤسساً على هذه القواعد الحادة، هو بحاجة إلى عمل مكثف وعميق ليتحلل من قبضة التشدد.

لا يزال المشوار طويلا، ومعارك النفس الطويل عرضة للانهيار في كل لحظة، كما أن الخيبات التي تعترض في الطريق تنعش قدرة التشدد على العودة، لاسيما وأن أفكاره المحورية تحتفظ بحيويتها حتى الآن، في ظل واقع متهافت يستدعي التشدد ويبرر له.

المدارس الحركية قضت وقتا طويلا وهي تنفث أطروحاتها المتطرفة في بنية المجتمع العربي بكل أريحية وانفراد

ولعل بعض المواقف العابرة تفصح عن حجم التشدد المكنون والنائم في المجتمع العربي، حتى تحين لحظة استثارة جديدة تعيده إلى الواجهة وصدارة التأثير واستعادة مناطق نفوذه التقليدية والأخرى المتاحة.

هناك مهمة حتمية لمواجهة جوائح التشدد، وخطوة ضرورية للنجاح في هذا المشروع الملحّ، وهي بناء شكل فكري مكتمل وقابل للنمو، يلبي حاجات الزمن الراهن، ويرفع عن المجتمع كاهل التوقف عن النمو وأعباء التخلف المريرة، وسوى ذلك ستظل الجهود مجرد ردات فعل، وملاحقة مرهقة لبؤر التطرف على حواف الفوّهة الساخنة بالنيران التي لا تنوي الخمود ولا التوقف. المجتمع بحاجة إلى معمار فكري ومنهجي واضح ولائق بمستقبله المنتظر وإلا التهمته جائحة جديدة وقفز على واقعه جاثوم آخر.

ثورة إيران واتقاد العواصف